

تفسير ابن كثير

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ^ص كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَاتَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ

ثم قال : (ضرب الله مثلا للذين كفروا) أي : في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ، أن ذلك لا يجدي عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله ، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم ، ثم ذكر المثل فقال : (امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) أي : نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلا ونهارا يؤاكلانهما ، ويضاجعانهما ،

ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط (فخاتاهما) أي : في الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ، ولا صدقاهما في الرسالة ، فلم يجد ذلك كله شيئا ، ولا دفع عنهما محذورا ؛ ولهذا قال : (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أي : لكفرهما ، (وقيل) أي : للمرأتين : (ادخلا النار مع الداخلين) وليس المراد : (فخاتاهما) في فاحشة ، بل في الدين ، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة ؛ لحرمة الأنبياء ، كما قدمنا في سورة النور . قال سفيان الثوري ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتة : سمعت ابن عباس

يقول في هذه الآية (فخانتاهما) قال : ما زنتا ، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ،
وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه . وقال العوفي ، عن ابن عباس قال :
كانت خيانتهم أنهما كانتا على عورتيهما ، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح ، فإذا آمن
مع نوح أحد أخبرت الجبابة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط
أحدا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل سوء . وهكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبير ،
والضحاك ، وغيرهم . [وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ما بغت امرأة نبي قط ، إنما
كانت خيانتهم في الدين] . وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف
الحديث الذي يآثره كثير من الناس : من أكل مع مغفور له غفر له . وهذا الحديث لا
أصل له ، وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في
المنام فقال : يا رسول الله ، أنت قلت : من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال : " لا ،
ولكني الآن أقوله " .